إنجيل متى ١٨: ١-٣٥

التهذيب والمغفرة

تأليف: تومي ساوث

« ... وإن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك، فقد ربحت أخاك ...

حينئذ تقدم إليه بطرس وقال: يارب، كم مرة يخطيء إلي أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات! ...» (متى ١٨: ١-٣٥).

تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين: «فمن هو أعظم في ملكوت السموات؟» (١٨: ١). لم يكن هذا مجرد محادثة نظرية، إذ يقول لوقا البشير: «وداخلهم فكر من عسى أن يكون أعظم فيهم» (لوقا ٩: ٤٦). ما أراد التلاميذ أن يعرفوه هو من منهم له أسمى منزلة. لا ينبغي أن نتعجب بان هذه المحادثة حصلت في هذا الوقت من خدمة يسوع. قبل أيام قليلة فقط مشى بطرس على الماء. ثم أعترف اعترافاً صحيحاً بان يسوع هو المسيح بن الله الحي، وأُعْطِيت له «مفاتيح ملكوت السموات»، وبعد وقتَ وجيز تم توبيخه على انه شيطان لانه كان يحاول منع سيده من ان يذهب إلى الصليب. وقد منح لبطرس ويعقوب ويوحنا امتيازاً ليشهدوا تجلي يسوع. وحاول باقي التلاميذ التسعة ان يخرجوا روح شريراً دون جدوى واصابهم خزي في حضور أعداءهم. كانت المسائل عن القوة والسلطة والمنزلة أمراً محتوماً؛ لأن التلاميذ كانوا مجرد بشر.

استجاب يسوع بوضع طفل في وسطهم معلناً ان الأعظم في الملكوت هو الذي يتضع ويقبل الملكوت مثل طفل. قيلت أراء مختلفة عن المعنى الصحيح لكلماته (الرأي الأكثر احتمالاً هو ان يسوع كان يشير إلى مقام الطفل في المجتمع اليهودي). لم يكن لأطفال اليهود مقاماً؛ الطفل هو من يتم العناية به وليس شخصاً يمكن الاعتماد عليه. «ان يرجعوا ويصيروا مثل أطفال يعني إذن تحويل جذري من عقلية الصراع اللا جدوى منه إلى قبول شيء غير هام» (مقتبس من ر.ت. فرانس). قال يسوع بان الأعظم في ملكوت الله هو الشخص الذي يكون مستعداً لقبول مقام لا يعتبر مقاماً أبداً! عندما لا نطلب المقام حينئذ نكون خدام، مثل ربنا. ان مستوى العظمة في الملكوت هو خدمة الله والآخرين وهكذا سيكون دائماً.

هذا يقود إلى نقاش طويل في ما تبقى من الأصحاح ١٨ والذي قد نسميه «الإنسجام في الكنيسة». تحدث يسوع عن أشياء مثل التواضع، والتهذيب، والمغفرة، ولكن لكل هذا صلة بالإنسجام مع بعضنا البعض - وهذا واحد من أعظم التحديات!

العيش عالياً مع القديسين الذين نحبهم
يكون شيئاً مجيداً بكل تأكيد
العيش أسفل مع القديسين الذين نعرفهم
هذ شيء آخر!

قال يسوع لكي ننسجم مع بعضنا البعض كما ينبغي لنا، علينا أن: (١) نستنكر السعي وراء المنزلة (١٨: ٢-٥)، (٢) نعقد العزم أن لا نجعل مسيحاً آخر يخطيء (١٨:٥-٩)، (٣) ندرك قيمة كل من هو ابناً لله (١٨: ١٠-١٤). في ما تبقى من آيات هذا الأصحاح تم الحديث عن المزيد مما تتضمنه هذه المباديء.

إذا قبلتُ المقام الذي ليس بمقام، وقيّمتُ كل أبناء الله الآخرين، فلا يمكن أن أجهل خطية

أخي. هكذا قال يسوع، بل سأحاول أن اربحه ولا يمكنني أن أرفض مسامحته عندما يتوب.

لا ينبغي أن أتجاهل خطية أخي

ينبغي على المسيحيين أن يكونوا واقعيين «تعرفون الحق والحق يحرركم» (يوحنا ٨: ٣٢). الكلمة «حق» يمكن ترجمتها بسهولة إلى «حقيقة». لن نتحرر إذا كنا نعيش في عالم الأحلام؛ عندما نواجه الحقيقة فقط حينئذ نتحرر لنكون ما يريد الله لنا ان نكون.

علينا أن نكون واقعين بخصوص الخطية. لا يمكن ان نتمثل كأن الخطية ليست حولنا – في حياتنا أو في حياة الآخرين. لا يمكن ان نتظاهر بانها لا تهلكنا روحياً. إذا كنتُ أرى خطية في حياتك، ولا أفعل شيئاً، فهذا يدل على انني لا أقيّمك كما ينبغي عليّ أن أفعل. كما أحاول أن أنبه الجار الذي يحترق بيته، هكذا أيضاً ينبغي أن أنبه أخي الذي تكون حياته الروحية في مأزق بسبب خطية. قال يسوع بانه إذا كان أخي يخطيء، ينبغي أن أذهب إليه وأواجهه: «وإن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما» (١٨: ١٥). إذا أخفقتُ في القيام بذلك، أكون قد انتهكتُ التعليم الذي ورد في الآيات من ١٠-١٤ «محتقراً» أخي إذ لم أحسبه مستحقاً لجهودي. يجب البحث عن كل مسيحي ضال. انه ليس بالتقوى ان تترك الشخص يضل في خطية دون أن تبذل جهداً لاعادته.

سأحاول ان أربح أخي

في الآيات من ١٥ إلى ٢٠ وضع التوكيد على ربح أخي، عوضاً عن التشهير به أو معاقبته. قال يسوع: «إذا سمع منك، فقد ربحت أخاك» (١٨: ١٥). هذه هي الصيغة نفسها التي استخدمها بولس في كورنثوس الأولى ٩: ١٩-٢٢ عندما تحدث عن «ربح» اليهود والأمم للمسيح: فإني إذ كنت حراً من الجميع، استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين (١كور ٩: ١٩). إذا رجع أخي للملكوت، يكون كلانا قد ربحنا شيئاً. يذكرنا وارن ويرسب بان النقطة الأساسية هي أن نربح أخينا وليس أن نفوز بالمجادلة. إذا تقدمتُ إلى أخي بروح الجدل والتهمة، فقد أربح الجدل ولكن أضيع أخي! لا تقوم الكنيسة عادة بمثل هذا التهذيب، بل شخص معين. يجب أن يكون عدد الأشخاص المشمولين في هذا أقل بقدر المستطاع ويمكن زيادة العدد فقط في حالة استمرار المحاولة لاقناع الأخ ليتوب. يجب ان يتم الحديث إليه بكل اهتمام، وليس الحديث عنه. وإذا رفض جهود الجميع أخيراً، يجب ان نحبه بما فيه الكفاية لنجتنبه، لكي يرى ما سوء حالته الروحية.

يوجد لمثل هذا العمل الذي تقوم به الكنيسة مساعدة وتأييد إلهي، حسب ما ورد في إنجيل متى ١٨: ١٨-٢٠، لأن محاولة انقاذ النفس من الهلاك هو عمل تقي. قال يسوع:

> الحق أقول لكم: كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وأقول لكم أيضاً: إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه، فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات. لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاث باسمي، فهناك أكون في وسطهم.

هكذا أيضاً فإن الإخفاق في انقاذ التلميذ الذي يخطيء يمكن تفسيره فقط بانه عدم الاهتمام بواحد من أعز أبناء الله. ولكن كم مرة أذنبنا إذ تركنا الناس يسقطون، كما لو كانوا بلا قيمة لنا ولا لله؟ يجب أن نكون مسؤولين لكل نفس، أما لنربحها من خطية أو نهذبها بالكنيسة لأنها رفضت التوبة. ولكن لا يجب أن يسقط أحداً.

لا يمكن أن أمنع المغفرة عن أخي عندما يتوب

استجاب بطرس لكل هذ الحديث عن ربح الأخ بسؤال: «كم مرة يخطيء إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟» (متى ١٨: ٢١).

واجه هذا! فاننا قد طرحنا السؤال نفسه بصورة ما. «ما هو حد السوء الذي لا يلزم عليّ أن أغفر بعده؟» (لاحظ انه نادراً ما نعكس

السؤال: «كم مرة يجب أن يغفر إليّ أخي؟» لدينا ميول طبيعي ان نضع حدوداً للمغفرة.

قدم بطرس ما يبدو له كاقتراح سخي: «هل إلى سبع مرات؟» يقول معظم معلمو اليهود: إلى ثلاث مرات، أو أربع. اقترح بطرس ضعف ذلك العدد بالإضافة إلى واحد. ولكن في ملكوت الله لا يكفي ذلك أيضاً. قال يسوع: «لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (١٨: ٢٢). يجب أن نغفر بلا حدود. لا يجب أن نحسب عدد المرات التي لا نغفر من بعدها.

ثم أعطى يسوع مثل المديونين الذي يفسر لماذا يجب أن أغفر بلا حدود. كان للأول ديناً لا يمكن تصوره: عشرة آلاف وزنة! كانت الوزنة أكبر وحدة عملة يهودية، وكان «١٠ ، ٠٠٠» هو أكبر رقم في اليونانية. كان لهذا المديون المثير للشفقة ما يعادل بلايين الدولارات، ولكن غُفِرَ له بسبب شفقة سيده. لا يجب ان نخفق نحَن الذين غفر لنا خطايانا العظيمة ان نرى أنفسنا في شخصية هذا المديون المغفور له. كان للمديون الثاني في القصة مقدار أقل، حوالي ١/٦٠٠ ، ٠٠٠ المقدار الأول، ولكن رفض العبد رفيقه أن يغفر له. ما أقبح ان الذي غفر له مثل هذا المقدار الهائل يرفض ان يغفر لشخص مديون له بهذا المقدار الضئيل! ذاك المديون الثاني هو أخي. إذا كان الله قد غفر لي أنا الذي أسئتُ إلى قداسته مرات لا تحصى وبطرق لا تحصى، فكيف أظن بانه يمكن لشخص آخر أن يخطي جداً إلى حد لا يستحق أن أغفر له؟!

علماً بان الله قد غفر لي، فكيف لا أغفر لك؟ مغفرة خطاياي تعلمني كيف أغفر للآخرين. مثل الله، لا ينبغي أن نفكر بعد بلغة عدد الأخطاء، ما دام لا يوجد للاعداد والحدود صلة بالمحبة. قال بولس بان المحبة «لا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السؤ» (كورنثوس الأولى ١٣: ٥). عندما كانت ابنتنا صغيرة، كنا نلعب معها ونسألها «كم تحبني؟» فتجيب عادة بشيء مثل «ثلاثة» ثم نسألها «لماذا ثلاثة فقط؟ لماذا لا يكون أربعة؟» وعندما كبرت قليلاً وتعلمت أعداد مثل «ألف»، أصبح سؤالنا هو «لماذا لا يكون ألفين؟» وسريعاً ما اتضح انه لا يمكن ان تقاس المحبة بالأعداد. لا يمكن ان نحسب عدد مرات الأخطاء التي أرتكبت ضدنا من قبل الأخرين ونرفض ان نغفر لهم – لا يكون هذا إن كنا نحبهم حقاً. في نهاية هذا المثل، أوضح يسوع بان الامتناع عن المغفرة هو دليل باننا لا نفهم مباديء النعمة والمغفرة ، ولهذا لا نغفر لأنفسنا:

> «وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه. فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته» (متى ١٨: ٣٤ و٣٥).

الخلاصة

قد تكون في مكان المديون الأول، وتريد المغفرة، ولكنك لا تريد أن تغفر. هل الأخطاء التي لم تغفر عليها تفسد قلبك؟ هل تشكو؟ هذه ليست طريقة ملكوت المسيح. عندما نتخلى عن السعي وراء المنزلة ونأخذ موضع الخادم، وعندما نقيّم إخوتنا في المسيح كما نقيّم أنفسنا، سنطلب دائماً الفوز – ليس الفوز علىَ أخينا، بل الفوز به، أي نربحه – ان نطلب ونتوسل وفوق الكل نغفر.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧